الإمام النووى

١

رياض الصالحين

الإخلاص وإحضار النية
التوبة ... الصبر

عماد الشافعى

المركز العربى الحديث

« رياضُ الصَّالحين » من الكُتُب القيمة التى ذَاعَ انتشارُها فى رُبُوعِ العَالم الإسلامىِّ ، وتكادُ لا تَخْلو منه مكتبةُ مُسلمٍ ، وذلكَ لأهميتِه وعَظيم فائدته .

فقد جَمَعَ مؤلِّفُه الإمامُ النَّووى باقةً كبيرةً من الأحَاديث الصَّحيحة ، ثُمَّ رَصَفها رَصْفاً جَميلا لتكونَ طريقا للمسلمِ إلى رياضِ الصَّالحين فى الآخرة . . الجنة .

وقد رأينا أن نَضَعَ هذا الكتَابَ القيِّم فى ثوبٍ أصْغر ليُلائمَ أولادَنا وبَناتنا بَراعمَ الإيمان مع شَرحٍ يسيرٍ لمعانى الأحاديث . وبدأناهُ ـ كما بدأه الإمام النووى ـ بأحاديث عن ضَرورة الإخلاص فى الأقوال والأعمال وإحضار النِّيَّة ، وختمناهُ بحديث النهى عَن الهُجْران ، هُجْران المسلم لأخيه المسلم فوق ثلاث ليال . . يلتقيان (أى المتخاصمان) فيُعْرضُ هذا ، ويُعْرض هذا ، وخَيرُهما الذى يبدأ بالسَّلام .

آدابٌ إسلاميةٌ رفيعةٌ ما أروعها ، وتُربة طيبةٌ ما أطهَرها يَنْشأ فيها النَّبْتُ المؤمنُ على طاعة الله ، وطاعة النبىِّ ، وفعْلِ الخيرات ، هذا مع تحلىِّ البراعمُ المؤمنةُ ـ أولادنا ـ بالصِّدقِ والتقوى والاستقامة واليقين ، وحُسن التَّوكل على الله . وهو ما جَعلَ غُلاماً مؤمناً راسخَ الإيمان ، ومُخْلصًا لله سَبَباً فى إيمان أمَّة غافلة ـ بالله تعالى ـ ودُونَ أن يَخشْى إلا الله (الحديثُ فى باب الصبرِ) .

إن هذا الكتابَ يا أبنائى ، ويا إخوتى الصِّغار براعمَ الإيمان ، منهلٌ عَذْبٌ لفضائل الإسلام ، فشمِّروا وانْهَلوا من نَبْعه الصافى .

ونسألك يا ربُّ يا رحيمُ أن تَصل ثواب كتابة هذا الكتاب ، وما يستفيده القرّاءُ من خَيْر إلى السيدة / أميمة البدراوى ، التى كانتْ مَثَلاً صالحاً للوفاء والتسامحِ وحُسْنِ الخُلقِ ، وكانت ـ رحمها الله ـ نَبْعاً للحنانِ والحُبِّ .

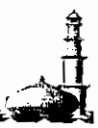

كما نسألك يا ربُّ يا رحيمُ أن تجمعنا وإياها فى مُسْتقرِ رحْمتكَ ، وفى رِياضِ الصالحينَ .

* * * * *

عماد الشافعى ، ومنال السخاوى

❖ الإخلاص وإحضار النية ❖

١ ـ عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « إنما الأعمالُ بالنِّيات ، وإنما لكل امرئ ما نَوَى ، فمن كانت هِجْرَتُهُ إلى الله ورسوله فهجرتُه إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبها أو امرأة يَنْكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» . (متفقٌ عليه) .

ومعناه : أن الله سبحانه وتعالى يعلم خائنَة الأعين وما تُخفى الصُّدور ، وأن كلَّ عمل يعمله المرءُ لابد أن يصحبه نيةٌ، هذا العمل ـ أى عمل ـ إن كان يُقَصْدُ به رضَا الله سُبحانه، ويُوافق سُنة رسوله فهو فى سبيل الله . وإن كانت نيَّةُ المرء وغايتُه فى هذه الحياة هو الحصول على زينة الدُّنيا فقط أو امرأة يتزوجها وحَسْبُ فإن الله يعلمُ ذلكَ ، ويكونُ له من الدنيا بقدر سَعْيه فيها ، وما قدره الله له ، وحسابه على الله .

٢ ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال :

رسولُ الله ـ ﷺ ـ :

« إن الله لا ينظرُ إلى أجسامكم ، ولا إلى صُوركم ، ولكن ينظرُ إلى قُلوبكم وأعمالكم » . (رواه مسلم) .

ومعناه : أن الأعمالَ يجبُ أن تكون خالصةً لله ، لأن الله يعلمُ ما فى قلوبِ العباد .

٣ ـ وعن عبد الله بن عُمَرَ ـ رضى الله عنهما ـ قال : سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقول : « انطلق ثلاثةُ نَفَرٍ ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيتُ إلى غارٍ فدخلوهُ ، فانحدرتْ صخرةٌ من الجبل فسدَّتْ عليهم الغار .

فقالوا : إنه لا يُنجيكم من الصَّخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم . قال رجلٌ منهم :

اللهمَّ كان لى أبوان شيخان كبيران ، وكُنتُ لا أغْبقُ قبلهما أهلاً ولا مالاً ، فنأى بى طلبُ الشجرِ يوماً فلم أرِحْ عليها حتى ناما فحلبت لهما غَبُوقهما فوجدتُهما نائمينَ ، فكرهتُ أن أوقظهما وأن أغبقَ قبلهما أهلاً أو مالاً ، فلبثتُ ـ والقدحُ على

يدى ـ أنتظر استيقاظهما حتى بَرقَ الفجرُ والصِّبية يتضاغون عند قدمى ـ فاستيقظا فشربا غَبُوقهما . اللهمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وَجْهك ففرِّج عنَّا ما نحنُ فيه من هذه الصَّخرةِ . فانفرجتْ شيئاً لا يستطيعون الخُروج منه .

قال الآخر : اللهُمَّ إنه كانتْ لى ابنةُ عمٍّ كانت أحبَّ الناس إلىَّ . فأردْتُها على نفسها فامتنعتْ منى حتى ألَّمت بها سَنَةٌ من السِّنين فجاءتنى ، فأعطيتُها عِشْرينَ ومائة دينارٍ على أن تُخَلِّى بينى وبين نفسِها .

فَفَعلتْ ، حتى إذا قَدَرتُ عليها قالت : اتقِّ الله ولا تَفُضَّ الخاتمَ إلا بحقِّه . فانصرفتُ عنها وهى أحبُّ الناس إلىَّ وتركتُ الذهبَ الَذى أعطيتُها . اللهمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهكَ فافْرجْ عنا ما نحنُ فيهِ . فانفرجتْ الصَّخرةُ غيرَ أنهم لا يستطيعونَ الخُروجَ منها .

وقال الثالثُ : اللهمَّ إنى استأجرتُ أجَراءَ وأعطَيتُهُم أجْرهم غير رَجُلٍ واحدٍ تركَ الذى له وذهبَ فثَّمرتُ أجره

حتى كَثُرتْ منه الأموالُ . فجاءنى بعدَ حينٍ فقالَ : يا عبدَ الله أدِّ إلىَّ أجرى ، فقلتُ : كلُّ ما ترى من أجركَ من الإبلِ والبقرِ والغَنَمِ والرَّقيقِ .

فقال : يا عبدَ الله لا تَستهزئ بى ! .

فقلتُ : لا أستهزئ بكَ . فأخذهُ كلَّهُ فاستاقهُ فلم يَترك منه شَيئاً . اللهمَّ إن كُنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهكَ فافْرُجْ عنا ما نحنُ فيه ، فانفرجتْ الصَّخرةُ ، فخرجوا يمشونَ . . (متفقٌ عليه)

ومعناه : أن المُسلمَ يمكنه أن يتوسَّلَ إلى الله ـ وقْتَ الشِّدة ـ بأعماله الصَّالحة التى عَملها خالصةً لله . وفى هذه الشِّدة كان الرجلُ الأول باراً بوالديه ، وكان الثانى نزيهاً عن فعل الفاحشة ، وكان الثالثُ أميناً . واستجابَ اللهُ لتوسلهم ولدُعائهمَ ، وفرَّجَ عنهم كُربتهم وذلكَ لإخلاصهم لله فى أعمالِهم .

* * * * *

❖ التوبة ❖

٤ ـ عن أبى هُريرةَ ـ رضى الله عنه ـ قالَ : سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقولُ : « والله إنِّى لأستغفرُ الله ، وأتوبُ إليه فى اليومِ أكثرَ من سبعينَ مرَّة » . (رواه البُخارى) .

٥ ـ وعن أبى مُوسى الأشْعرىِّ ـ رضى الله عنه ـ ، عن النبى ـ ﷺ ـ قالَ :

« إن الله تعالى يَبْسُطُ يده بالليلِ ليتُوبَ مُسىءُ النَّهار ، ويبسطُ يده بالنهارِ ليتوبَ مُسىءُ الليلِ حتى تَطْلعَ الشمسُ من مغربها » . (رواه مسلم) .

٦ ـ وعن أبى سعيدِ الخُدْرىِّ ـ رضى الله عنه ـ أن نبىَّ الله ـ ﷺ ـ قال : « كان فيمن كانَ قبلكم رجلٌ قَتَل تسعةً وتسعين نَفْساً ، فسأل عن أعْلَمِ أهلِ الأرضِ فدُلَّ على راهبٍ ، فأتاهُ فقال : إنه قتل تسعةً وتسعينَ نَفْساً ، فهل له من توبةٍ ؟

فقال : لا . . فقتله فكمَّل به مائة ، ثم سأل عن أعْلم أهلِ

الأرضِ، فدُلَّ على رَجُلٍ عالمٍ فقال : إنه قتَلَ مائةَ نَفْسٍ فهل له من توبةٍ ؟

فقال : نَعَم . ومن يَحُولُ بينه وبين التَّوبة ؟ . . انْطَلِقْ إلى أرضِ كذا وكذا ، فإن بها أُناساً . . يَعْبدُون الله تعالى فاعْبدِ الله معهُم . ولا ترجعْ إلى أرضكَ فإنها أرضُ سُوءٍ .

فانطلقَ حتى إذا نَصفَ الطريقُ أتاهُ الموتُ ، فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرَّحمةِ وملائكةُ العذابِ .

فقالتْ ملائكةُ الرَّحمةِ : جاءَ تائباً مُقْبلاً بقلبه إلى الله تعالى .

وقالت ملائكةُ العذابِ : إنه لم يعملْ خيراً قطُّ .

فأتاهم مَلَكٌ في صورة آدميّ فجعلوه بينهم ـ أي حكَماً ـ فقال : قيسوا ما بين الأرْضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له .

فقاسوا فوجدوهُ أدْنى إلى الأرضِ التي أرادَ فقبضتهُ ملائكةُ الرَّحمةِ . (متفقٌ عليه) .

ومعناهُ : أن الله عزَّ وجَلَّ يَقْبلُ توبةَ العبد مهما بلغتْ ذُنوبه إذا كان صادقاً فى توبته إلى الله ، ونادماً على فِعْله من ذنُوبٍ، حتى لو كانت جريمةَ القتل .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ .

* * * * *

❖ الصبر ❖

٧ ـ عن صُهْيبِ بن سِنَانٍ ـ رضى الله عنه ـ قالَ : قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ :

« عَجَباً لأمرِ المؤمن إنَّ أمْرَهُ كلَّه له خيرٌ ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن . . إن أصابتهُ سَرَّاءَ شكَر فكان خيراً له ، وإنَ أصابته ضَرَّاءَ صَبَر فكان خيراً له » (رواه مُسْلم) .

٨ ـ وعن صُهيب ـ رضى اللهُ عنه ـ أن رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال : « كان مَلكٌ فيمن كان قبلكُم ، وكان له ساحرٌ ، فلما كبرَ قال للملك : إنى قد كَبرتُ فابعثْ إلى غُلاماً أعلّمه

السِّحْرَ، فبعثَ إليه غُلاماً يُعلمه ، وكان فى طريقه إذا سَلَك راهبٌ ، فقَعَدَ إليه وسمعَ كلامه فأعجبهُ ، وكانَ إذا أتى الساحرَ مرَّ بالراهب وقَعَد إليه . فإذا أتى الساحرَ ضربهُ ، فشكا ذلك إلى الراهب فقال : إذا خشيتَ السَّاحرَ فقل : حَبسَنى أهلى ، وإذا خشيت أهلك فقُل : حَبسَنى الساحرُ .

فبينما هو على ذلك إذْ أتى على دابة عظيمة قد حبستْ الناسَ فقال : اليوم أعلمُ الساحرُ أفضلُ أمِ الراهبُ أفضلُ ؟

فأخذَ حجراً فقالَ : اللهمَّ إن كان أمرُ الراهب أحبَّ إليك من أمر السَّاحرِ فاقتلْ هذه الدابةِ حتى يمضى الناسُ . فرماها فقتلها ومضى الناسُ .

فأتى الراهبَ فأخبرهُ . فقال له الراهبُ :

أىْ بُنىَّ إنك اليومَ أفضلُ منى ، قد بلغَ من أمرك ما أرى ، وإنك ستُبتلَى . فإن ابتُليتَ فلا تدُلَّ علىَّ . وكان الغلامُ يُبرئُ الأكْمهَ والأبْرَصَ ويُداوى الناسَ من سائر الأدْواء .

فَسمعَ جليسٌ للملك كان قَدْ عَمىَ ، فأتاهُ بهدايا كثيرة

فقال :

ما هنا أجمعُ إن أنتَ شفيتنى ، فقال : إنى لا أشفى أحداً إنما يشفى اللهُ تعالى ، فإن آمنتَ بالله تعالى دعوتُ الله فشفاكَ . فآمنَ بالله تعالى فشفاهُ اللهُ تعالى .

فأتى الملكَ فجلسَ إليه كما كان يجلسُ . فقال له الملكُ : من ردَّ عليك بَصركَ ؟ . . قال : ربى .

قال : ولكَ ربٌّ غَيْرى ؟

قال : ربى وربُّك اللهُ . فأخذه فلم يَزْل يُعذبه حتى دَلَّ على الغُلام . فَجِيءَ بالغُلام ، فقال له الملكُ : أى بُنىَّ قد بلغَ من سِحْركَ ما تُبرئ الأكْمَهَ والأبرصَ وتفعلُ وتَفعلُ .

فقالَ : إنى لا أشْفى أحداً ، إنما يشفى اللهُ تعالى . فأخذهُ فلم يزل يُعذبهُ حتى دلَّ على الراهب .

فقيل لهُ : ارجعْ عن دِينكَ ، فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشارَ فى مفْرق رأسه ، فشقَّهُ حتى وَقَعَ شِقَّاهُ ، ثم جِيءَ بجليس الملكِ فَقيل له : ارجع عن دينك . فأبَى .

فوضعَ المنشارَ فى مِفْرقِ رأسه فشقَّهُ به حتى وقع شِقَّاهُ .

ثم جِىءَ بالغُلام فقيلَ له : ارجعْ عن دينك . فأَبَىَ ، فدفعه إلى نَفرٍ من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبلِ كذا وكذا فاصعدوا به الجبلَ، فإذا بلغتم ذرْوته فإن رجعَ عن دينه وإلا فاطرحوهُ .

فذهبُوا به فَصَعدوا به الجبلَ . فقالَ : اللهمَّ أكفينهم بما شِئْتَ، فَرَجفَ بهم الجبلُ فسقطوا ، وجاءَ يمشى إلى الملكِ .

فقال له الملكُ : ما فُعلَ بأصحابك ؟

فقال : كفانيهمُ اللهُ تعالى .

فدفعه إلى نَفَرٍ من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحْملوهُ فى قَرْقُور (مركب) وتوَّسطوا به البحرَ ، فإن رَجعَ عن دينه وإلا فاقذفوه . فذهبوا به فقال : اللهمَّ أكفينهم بما شِئْتَ . فانكفأتْ بهم السفينةُ فغرقوا ، وجَاء يمشى إلى الملكِ .

فقال له الملكُ : ما فُعلَ بأصحابك؟

فقال : كفانيهمُ الله تعالى .

فقال للملك : إنك لَسْتَ بقاتلى حتى تَفعل مَا آمُرُكَ به .

قالَ : وما هو ؟

قالَ : تَجمعُ النَّاسَ فى صَعيد واحد ، وتَصْلُبنى على جِذْع ، ثم خُذْ سهْماً من كنانتى ، ثم ضَعْ السهَّمَ فى كبد القَوْس ، ثم قُلْ : باسم الله ربّ الغُلامِ . ثم رماه فوقع السهَّمُ فى صَدْغه ، فوضع يده فى صَدْغه فمات .

فقال الناسُ : آمنا بربِّ الغُلام .

فأتى الملكُ فقيلَ لهُ : أرأيتَ ما كُنْتَ تَحْذرُ ، قَدْ والله نَزَلَ بكَ حَذَرُكَ . قَدْ آمن النَّاسُ . فأمر بالأخْدُود بأفواه السِّكك فَخُدَّتْ ، وأضْرِمَ فيها النيرانُ وقال : من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها ، أو قيل له : اقتحم .

ففعلوا حتى جاءتْ امرأةٌ ومعها صبى لها ، فَتقَاعسَتْ أن تَقعَ فيها فقال لها الغُلامُ : يا أمَّاهُ اصبرى فإنكِ على الحقِّ . .

(رواه مسلم) .

المعنى :

ذُروةُ الجبلِ : أعلاهُ ، القُرقور : نوع من السُّفن .

الصَّعيدُ : الأرض البارزة ، الأخدودُ : الشُّقوق فى الأرض .

أضرمَ : أوْقَد ، انكفأتْ : انقلبتْ .

تَقَاعستْ : تردَّدت ورجعت خوفاً .

ومعنى الحديث : أن الغُلاَمَ المُؤمنَ ، والذى أخْلصَ عبادتهُ لله ، كان إيمانُه بربه راسخاً وصَبرَ على الشِّدة ، فثبتَّه اللهُ ونجَّاهُ ، وجعله سبباً فى إيمانَ أمَّة من الناس .

٩ ـ عن أبى سعيد ، وأبى هُريرة ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قالَ : « ما يُصيبُ المُسلم من نَصَب ولا وَصَب ولا هَمٍّ ولا أذَى ولا غَمٍّ ، حتى الشَوْكةُ يُشاكها إلاَّ كَفَّر اللهُ بهاَ من خَطاياهُ . . (متفقٌ عليه) .

الوَصَبُ : المرضُ .

ومعناه : أن ما يُصيبُ المسلمُ من أذىً ، هو رَحْمة من الله بالعبد ، فيُكفِّرُ اللهُ به من ذُنوبه .

* * * * *